

## الاخبار

الخبير

رئيس التحرير -
الحرر السعود،
ابراهيم العبيد
بيار ابي صعب

بالترييس التحرير
بيار ابي صعب
مدير التحرير
يقيف قانور

محاسن التحرير
محمد زينب
حسب عليف
ايلى عا
الشاعر
لهم كريمة

صادرة على شركة
اخبار بيروت

المكانت بيروت-
فردات - شارع دنوات
سنتر كونكورڤ-
الطاقم السادس
تلفاكس:
01759500
01759597
ص. ب 5963 113

العنايت
الوكيل الحرير
ads@al-akhhbar.com
017759500

التبرع
شركة الهالك
15/066314 - 01
82/038381

الموقع الإلكتروني
www.al-akhhbar.com

صفحات التواصل
f
AlakhhbarNews
t
@AlakhhbarNews
i
/alakhhbarnews-paper

## احمد بعلبكي\* الحضور الاول لليهود في مجتمعات عربية متعددة الديانات

قبل ظهور الدعوة إلى الإسلام كانت شعوب المشرق والجزيرة العربية قد شهدت ظهور ديانات سامية توحيدية متعددة برزت بينها بداية الديانة اليهودية في مناطق كتعانية من فلسطين، متعاصرة في ظل حضارات سومرية وبابلية وكنعانية، وتمثلت هذه الديانات بما سُمي الكنيسة المشرقية (الكلدانية – الآشورية والسرانية). وقد تمكن الكهوت اليهودي من فرض هيمنة معتقده بأن الله قد حضر وجهه بديانته في ما سُمي العهد الأول، أي التوراة الذي عُدَّ الكتاب الأول للساميين. وفي موازاة الديانات التوحيدية، كانت قد شاعت في العصر الجاهلي مجتمعات شبه الجزيرة العربية قبل ظهور الدعوة الحمصدية، ميتولوجيا تتعدد في ظلها المعتقدات المتجسدة بواثن أو باصنام تتفرع عن بعضها ما تتحاجه لثقافة وهي مجسدت تبعدها القبائل لتعزيز خصائص قدراتها وتشترك تعلمًا ونَهْمًا أحيانًا مع قبائل أخرى عربية أو غير عربية تتجارو معها وتتاجر. وجاءت في طليعة هذه الأوثان اللات وُمَناءة وُهبل- إل. إلج. ولم تتوقف ضرورة التفرُّع الديني داخل كل من مجتمعات اديان التوحيد وخاتمها الإسلام، لكون الفرع من ضرورات شرعية تفرع السلطة داخل المجتمع ومن «ضرورة الاجتماع لإزدهار الأعراس» كما قال عبد الرحمن بن خلدون(1).

لقد أثار ظهور الإسلام تنازعًا حاداً مع عبدة الألهة كما مع المشرك اليهودية التي رأت في ديانة التوحيد التي يُشعر بها النبي محمد تحدياً لما سبق لديانتها أن دعت إليه. وهذا ما اقتضى نزول آية في سورة «الكافرون» تقول لَّن يرفُضوهن التحول إلى الإسلام «لكن يدبكنم ولي دين»(2). وقد عُدَّ ذلك رداً على اشتداد النزاع مع هذه العنائر اليهودية المهيمنة، بالرغم من محاولات قبل النبي منها في مواسم الحج إلى مكة، ومن اعتماده لقبليتها في القدس ولطقس صياحها مرهناً على معتقدتها التوحيدي وعلى تحولها إلى التوحيد الذي أتى به. غير أن هذه العنائر ظلت تُصرَّ على تكذيب أي دعوة تتجاوز توحدها في كتدبا وانتسابها إلى النبي ابراهيم الخليل. وزاد في غلواء تدينيتها توسع تحالفاتها مع قريشكي مطع الصهيونية لليهود الغنمانيين في مطلع القرن العشرين وعشبة إقامة دولة إسرائيل عام 1948 وبعده عندما أصبح قيام الدولة يتطلب المحي بالكفافات اليهودية الدولية والتمسوة لالإدارة والتجنيد من غرب أوروبا وشرقها. وحصل التحول لاحقاً إلى طلب الحجي بمستويات متواضعة من العمالة غير المؤهلة من «اليهود العرب» للخدمات البسيطة التي لا يُقبل عليها المهاجرون المتواضعو التأهيل الوافدون إلى إسرائيل من أوروبا الشرقية وغيرها.

**توسع الاسواق**

■ **أولاً:** في الجزيرة العربية تراجع تنازع الدعوات إلى التوحيد في الجزيرة العربية الذي أشربنا إليه آلاءه، بعد وفاة النبي محمد. ومع توسع الاتساق على امتداد قرون، توسعت تحالفات التجار في العنائر اليهودية مع قبائل سملة، فتوسعت امامهم فرض وصولهم إلى أسواق مدن الجزيرة وجواراتها. وقد تمكن متوسطو تجار هذه العنائر وحرفيوها من الانتاج بالسلع والأسلعة (الخناجر والسيوف) والصياغة في أسواق المدن الصغيرة والأرياف. واستمر هذا التعايش التجاروي والتجاري مع القبائل الإسلامية ومدنها قروناً بفعل ما وفره من التكامل بين أسواق مناطقها واستنساب الأمن الضروري كشرط لا بد منه لتبلور علاقات اقتصاد السوق. علاقات أوصلت التجار، ومنهم اليهود خاصة، إلى أسواق

استقطاب القبائل العربية، التي لم تكن قد أعلنت إسلامها بعد، ضدّه بالرشوة. كان اليهود في المدينة من البُسر في زراعتهم وتجارتهم وحرفهم، ومن الثقافة بفضل تعليمهم الديني وتعرفهم للقراءة والكتابة(5)، ما يجعل الجدل عبئاً مع قادة عشائريهم الذين أصروا على مواجهتهم للنبي محمد، وإن كانوا قد توافقوا معه على مواجهة الشرك، إلا أنّهم لم يعترفوا بنبوته في الوقت الذي واصلوا فيه تحالفهم مع الوثنيين.

إن مراتب التقشف الديني في طلائع عشائر اليهود، مكّنت تجارها على امتداد قرون انقضت على نزول الدعوة إلى الإسلام، من التوسع باتجاه أسواق المدن الأمتة للقبائل والإصارات. وهي أسواق تربط بين مناطق الحجاز وبلاد الشام والعراق عبر البحرين، ومنها إلى اليمن والهند والصين أيضاً خلال القرنين التاسع والعاشر، ومكّنت كبار تجارها من توفير ما تتطلبه هذه الأسواق في مجالات الصياغة والسلاح، خاصة في الوقت الذي اهتم فيه متوسطو تجارها وحرفيوها بتخليبة ما تحتاجه أريافها من حرف وموارد من أسواق بعيدة، وواصلت قدراتها الأقل تعلمًا ونَهْمًا للتعارة والحرف البقاء في قراها مغلقة على شريعتها ومتنكفة مع ثقافة العيش المتناسلة في اللغة والمفاهيم والعادات والقيم وتبادل الأمان في محيطها القبلي – المتناسل وغالبًا ما لا تميل إلى الهجرة عنه. وهكذا يكون يهود الجزيرة العربية قد عاشوا نوعين متوازيين من الاندماج:

« اندماج النخب الذي تنسجه يوميةا علاقات السوق، وغالبًا ما لا يعبّقه فعلياً اختلاف بيانات الفاعليات المقررة لأوليائته وتصبح ديانتها متكيّفة مع ضرورات التعايش والمُتاجرة.
\* اندماج العوام المعيشي – الثقافي الذي تنسجه يوميا ضرورات نقل ديانة الآخرين والتكيف يوميا مع الحياة السياسية في البيئة من خلال نمط الثقافة السائدة فيها إلى أن يطرا سياسياً ما ليس في الحسينان وتخلت ضرورات التناز أو الهجرة على فرص التقلُّل والتكثُّف واستمر ذلك التكيف الاندماجي يتأكد حتى اليوم عندما برز رسوخ فعل نمط الاندماج الثاني عقوداً طويلة من خلال عدم قبول الفقراء والمعمرين اليهود في المناطق الريفية النائية في اليمن تسهيلات الهجرة المعروضة عليهم إلى إسرائيل. وهي تسهيلات كانت قد وفرتها أجهزة الحركة الصهيونية لليهود الغنمانيين في مطلع القرن العشرين وعشبة إقامة دولة إسرائيل عام 1948 وبعده عندما أصبح قيام الدولة يتطلب المحي بالكفافات اليهودية الدولية والتمسوة للإدارة والتجنيد من غرب أوروبا وشرقها، وحصل التحول لاحقاً إلى طلب الحجي بمستويات متواضعة من العمالة غير المؤهلة من «اليهود العرب» للخدمات البسيطة التي لا يُقبل عليها المهاجرون المتواضعو التأهيل الوافدون إلى إسرائيل من أوروبا الشرقية وغيرها.

**توسع الاسواق**

■ **أولاً:** في الجزيرة العربية تراجع تنازع الدعوات إلى التوحيد في الجزيرة العربية الذي أشربنا إليه آلاءه، بعد وفاة النبي محمد. ومع توسع الاتساق على امتداد قرون، توسعت تحالفات التجار في العنائر اليهودية مع قبائل سملة، فتوسعت امامهم فرض وصولهم إلى أسواق مدن الجزيرة وجواراتها. وقد تمكن متوسطو تجار هذه العنائر وحرفيوها من الانتاج بالسلع والأسلعة (الخناجر والسيوف) والصياغة في أسواق المدن الصغيرة والأرياف. واستمر هذا التعايش التجاروي والتجاري مع القبائل الإسلامية ومدنها قروناً بفعل ما وفره من التكامل بين أسواق مناطقها واستنباب الأمن الضروري كشرط لا بد منه لتبلور علاقات اقتصاد السوق. علاقات أوصلت التجار، ومنهم اليهود خاصة، إلى أسواق

الصين، ومكنتهم من إتقان آداب التكيف وثقافة التعامل مع اختلافات الديانات خلال قرون لم تخل من صدامات طارئة لم تؤثّر طويلاً في استدامتها، وذلك بفعل ما انتقل إليه التجارو والتعايش في المدن من تعددية التدين إلى تعددية المصالح والكتابة(5)، ما يجعل الجدل عبئاً مع قادة عشائريهم الذين أصروا على مواجهتهم للنبي محمد، وإن كانوا قد توافقوا معه على مواجهة الشرك، إلا أنّهم لم يعترفوا بنبوته في الوقت الذي واصلوا فيه تحالفهم مع الوثنيين.

إن مراتب التقشف الديني في طلائع عشائر اليهود، مكّنت تجارها على نزول الدعوة إلى الإسلام، من التوسع باتجاه أسواق المدن الأمتة للقبائل والإصارات. وهي أسواق تربط بين مناطق الحجاز وبلاد الشام والعراق عبر البحرين، ومنها إلى اليمن والهند والصين أيضاً خلال القرنين التاسع والعاشر، ومكّنت كبار تجارها من توفير ما تتطلبه هذه الأسواق في مجالات الصياغة والسلاح، خاصة في الوقت الذي اهتم فيه متوسطو تجارها وحرفيوها بتخليبة ما تحتاجه أريافها من حرف وموارد من أسواق بعيدة، وواصلت قدراتها الأقل تعلمًا ونَهْمًا للتجارة والحرف البقاء في قراها مغلقة على شريعتها ومتنكفة مع ثقافة العيش المتناسلة في اللغة والمفاهيم والعادات والقيم وتبادل الأمان في محيطها القبلي – المتناسل وغالبًا ما لا تميل إلى الهجرة عنه. وهكذا يكون يهود الجزيرة العربية قد عاشوا نوعين متوازيين من الاندماج:

« اندماج النخب الذي تنسجه يومياا علاقات السوق، وغالبًا ما لا يعبّقه فعلياً اختلاف بيانات الفاعليات المقررة لأوليائته وتصبح ديانتها متكيّفة مع ضرورات التعايش والمُتاجرة.
\* اندماج العوام المعيشي – الثقافي الذي تنسجه يوميا ضرورات نقل ديانة الآخرين والتكيف يوميا مع الحياة السياسية في البيئة من خلال نمط الثقافة السائدة فيها إلى أن يطرا سياسياً ما ليس في الحسينان وتخلت ضرورات التناز أو الهجرة على فرص التقلُّل والتكثُّف واستمر ذلك التكيف الاندماجي يتأكد حتى اليوم عندما برز رسوخ فعل نمط الاندماج الثاني عقوداً طويلة من خلال عدم قبول الفقراء والمعمرين اليهود في المناطق الريفية النائية في اليمن تسهيلات الهجرة المعروضة عليهم إلى إسرائيل. وهي تسهيلات كانت قد وفرتها أجهزة الحركة الصهيونية لليهود الغنمانيين في مطلع القرن العشرين وعشبة إقامة دولة إسرائيل عام 1948 وبعده عندما أصبح قيام الدولة يتطلب المحي بالكفافات اليهودية الدولية والتمسوة للإدارة والتجنيد من غرب أوروبا وشرقها، وحصل التحول لاحقاً إلى طلب الحجي بمستويات متواضعة من العمالة غير المؤهلة من «اليهود العرب» للخدمات البسيطة التي لا يُقبل عليها المهاجرون المتواضعو التأهيل الوافدون إلى إسرائيل من أوروبا الشرقية وغيرها.

هذا التحقل بين الأسواق حتى الحرب العالمية الأولى التي جاءت إلى المشرق العربي بالانقلاب الإنكليزي والفرنسي، وجاء معيها وعد بلفور وتنسج عبرات أوروبا الشرقية، خاصة إلى فلسطين. وشهد الانتداب الإنكليزي المواجهات مع المقاومة الفلسطينية خلال الثلاثينات، خاصة كما سبق واشربنا. وزاد اندفاع الأجهزة الصهيونية، بدعم من سلطات الانتداب لتحريك هجرات اليهود («العرب» إلى فلسطين التي بلغت أوجها مع إقامة دولة إسرائيل عام 1948.

بعد خروج أغلبية اليهود من الجزيرة العربية ما عدا اليمن، التي توفّر لهم فيها سوقاً آمنة في ظل الاستعمار الإنكليزي لعدن ولموقعها المفتوح على الهند، بدأت التعاققات مع الولايات المتحدة قبل بريطانيا، للتخفيف عن النقط في هذا

# الحلف الأنجليكاني الأميركي ـ الصهيوني وحماية القوهية الدينية في إسرائيل

السعودية، وكان الإنتاج الفعلي عام 1950 مع قيام شركة أرامكو. وبهذا يكون يهود الجزيرة العربية قد خرجوا من اقتصاد الزراعة والحج ليدخلوا في اقتصاد النفط عبر شركات أميركية وأوروبية أو متعددة الجنسيات لا دين لها.

■ **ثانياً:** اختلافاً الوجود اليهودي وتحولته في بلدان المشرق العربي (الحالة العراقية نموذجاً) اختلفت مستويات نمو الأقليات الدينية والإنتية واندماجها، ومنها خاصة الأقليات اليهودية، في بلدان المشرق عمّا كانت عليه في المدن والمجتمعات القبلية الإسلامية في الجزيرة العربية. واستمّر هذا الاختلاف في مستوى تطور الوجود اليهودي بين مشاركين مع مجاوريهم المسلمين في الصوم و التمسك بشرط الذبح الحال في استهلاك اللحوم وفي الزيارات المشتركة لمقامات دينية، ومنها على سبيل المثال، قبر أيوب في صلالة (عُمان). وهذا ما كان قد اعتاده فألو قرى جنوب لبنان، وحتى عشية فرض إقامة دولة إسرائيل، يقفون لأكثر من يوم في زياراتهم للمقامات اليهودية في مواسم محددة خلال السنة للصلاة والاستشفاع والوفاء لها بتقديم الصدقات(6). وتبين المعلومات أنه بعد تحول التجار اليهود إلى البلدان المجاورة، كإيران والهند، وبعد تحول متوسطي النخب من الفئات الشعبية اليهودية، ولا سيما الشباب، إلى قبول إغراءات الحركة الصهيونية في الانتقال إلى إسرائيل ليبلو حاجات التوظيف في مجالي الإدارة والتجنيد، ظل قسم من اليهود في أرياف الجزيرة العربية، ومنها اليمن خاصة، غير متأثرين بالانفعالات العربية الشعبية التي ولدها اغتصاب إسرائيل لفلسطين وتهجير شعبها إلى المخدّمات في البلدان المجاورة. وقد اضطرت هذه الانفعالات جماعات يهودية إلى الهجرة، ولا سيما بعد حرب 1967، إلى أماكن أكثر أماناً وثأياً عن انفعالات الجماهير العربية المتوترة، ومنها، على سبيل المثال لا الحصر، جماعة يهود بني سُوران في نجران السعودية، وقد بلغ عددهم 6 آلاف يعملون في الزراعة ورعاية المواشي. وقد شُح لهم بالانتقال إلى صعدة وعدن في اليمن بين عامي 1919 و1950 (ويكبيديا المصادر العبرانية)، وهي الجماعة التي طالب بعودتها ملك عبد العزيز بن سعود، باعتبارها جماعة سعودية، ورفض طلبه الإمام أحمد بن يحيى، باعتبارهم مواطنين يمنيين. وما لبثت هذه الجماعة أن نُقلت إلى إسرائيل بعد رحلات توسط قام بها وزير خارجية الأميركي اليهودي الأصل هنري كيسنجر. وبقي في الجزيرة من فقراء اليهود ممن كانوا أقل تاهلاً ومروءة، مقارنة بالآلاف تهجيرهم وإسكانهم وإعالمتهم في منظور أجهزة التهجير الصهيونية.

إن يكن من السهل على الجماعات اليهودية الهاشمية المندمجة اجتماعياً في أرياف المشرق العربي أن تتخلّى عن ديانتها المتناسلة في الثقافة اليمينية المحلية، ولا عن حرفها التقليدية وعاداتها حيث تعيش مع القبائل العربية، ولا أن تتاجر من مناشئها تهجيرهم وإسكانهم وإعالمتهم في منظور أجهزة التهجير الصهيونية.
\* إن توسع من السهل على الجماعات اليهودية الهاشمية المندمجة اجتماعياً في أرياف المشرق العربي أن تتخلّى عن ديانتها المتناسلة في الثقافة اليمينية المحلية، ولا عن حرفها التقليدية وعاداتها حيث تعيش مع القبائل العربية، ولا أن تتاجر من مناشئها تهجيرهم وإسكانهم وإعالمتهم في منظور أجهزة التهجير الصهيونية.
\* إن يكن من السهل على الجماعات اليهودية الهاشمية المندمجة اجتماعياً في أرياف المشرق العربي أن تتخلّى عن ديانتها المتناسلة في الثقافة اليمينية المحلية، ولا عن حرفها التقليدية وعاداتها حيث تعيش مع القبائل العربية، ولا أن تتاجر من مناشئها تهجيرهم وإسكانهم وإعالمتهم في منظور أجهزة التهجير الصهيونية.

وقد بلغ اندماج اليهود في مدن العراق وأسواق الحُدود الواقعة لشرق الإنكليزي قد تأسس ثلاثة نوكد وتشغل مناصب وكلاء وزراء وقد تجسد اندماجها على سبيل المثال في ما يُشير إليه عالم الاجتماع العراقي حنا بطاطو بأن عدد الصرافين اليهود بلغ عام 1936 من إجمالي اليهود البالغ 800 ألف، وهي حصّة لم تشمل أولاد صرافا من أصل 39 في عموم العراق(7).

وقد بلغ اندماج اليهود في مدن العراق وأسواق الحُدود الواقعة لشرق الإنكليزي قد تأسس ثلاثة نوكد وتشغل مناصب وكلاء وزراء وقد تجسد اندماجها على سبيل المثال في ما يُشير إليه عالم الاجتماع العراقي حنا بطاطو بأن عدد الصرافين اليهود بلغ عام 1936 من إجمالي اليهود البالغ 800 ألف، وهي حصّة لم تشمل أولاد صرافا من أصل 39 في عموم العراق(7).

وتنضم هذه الفئات الوسطى إلى أرض التوراة والميعاد. وزاد في الاضطراب إلى الهجرة توسع الانفعالات القومية في عهد حكومة الكيان القومي (1932)، ولا سيما مع توسع قسرة الفلسطينيين عام 1936. وكانت سلطة الانتداب الإنكليزي قد اشترت إلى فئات من يهود المشرق الأوسط في مجتمع بلدان المشرق وسواقيها، ومنها العراق خاصة، إلى فلسطين، أنها هجرة تلبية حاجة ملحة لتوفير العمالة الشبعة في العراق (التخفيف) وفي سوريا (مقام السيدة زينب).

إلا أن هذا التعلّق التجاري والثقافي بالعراق لدى فئات من يهود المشرق تزعيم سيربتي، زعيم الحركة اشترازان الأمان لدى بعض من هذه الفئات التي كانت أكثر تحوّفاً مما «نُسب» (9) إلى البعثات الألمانية النازية من مُعاداة متوقّعة لليهود. خلال ثلاثينيات القرن العشرين، تحوّفاً استنفادت من فعله القوى الديموقراطية في الحركة الوطنية على حساب القوميّين وأعطأؤها القضايا الاجتماعية المحلية الأولية. وهذا ما شجع دخول اليهود في العمل الشيعوي وفي قيادة الحزب الوسطى، وشجع شيوعيههم على تأسيس منظمة مكافحة الصهيونية التي كان اليهود من غالبية أعضائها(10). غير أن الحضور اليهودي المعارض للصهيونية ما لبث أن تراجع في أعقاب تآييد السوقيات تقسيم فلسطين للبلاد، بلّغ عام 10% من إجمالي اليهود فلسطيني وزاد بعد ذلك التصفيق على تحركات الشيوعيين اليهود واعتقالاتهم، وهرب الباقيون منهم عبر الحدود الإيرانية، ومنها إلى إسرائيل لاحقاً(11).

■ **ثالثاً:** اختلف الوجود اليهودي في البلدان المغاربية (المغرب الأقصى نموذجاً) عاش اليهود في هذه البلدان قبل وصول فقير القدس سرحوا له بـ «أن فلسطين بلد مفتوح والقدس سرحوا على صالحته للمسكن واليهامسحين والمسلمين الموالين لاستقباله في المطار وانقلات الأمن.. وهذا ما انعكس في الأوساط الشعبية القومية مزيداً من

تعرّض اليهود للعنف ونهب البيوت والمخازن». وتعليقاً على ردود الفعل ضد اليهود، يقول الصحافي البريطاني ديفيد هيرست: «لم تكن الآسامية بالشكل الشبعة في الأندلس يعرفه عن الأوروبيين هي الدافع إلى ذلك، بل هي نوع من التعتصب الجائر في لحظات من الرفض والغضب ...»، وكان أنزو سيربتي، زعيم الحركة الصهيونية السرية في العراق، قد كتب إلى الوكالة اليهودية عن «دهشة من عدم وجود الحماسة بين اليهود البغداديين من أجل فلسطين ... وكان قد زاد من تهديّة مخاوف اليهود العراقيين تزايد تأثير المعارض للصهيونية لتسرّح عدد من هذه الأجهزة الصهيونية لتسرّح عدد من هذه الفئات الوسطى إلى أرض التوراة والميعاد. وزاد في الاضطراب إلى الهجرة توسع الانفعالات القومية في عهد حكومة الكيان القومي (1932)، ولا سيما مع توسع قسرة الفلسطينيين عام 1936.

وكان شأن التجار اليهود، في المغرب كشأن تجار يهود المشرق والعراق لجهة ترضد الأسواق اليهود لتسويق بضائعها. ولهذا استمرت اشكال الحركات الاندماجية في حارات المدن المغاربية الخاصة بهم التي توزعوا بيئها، ومنها مدينة وهران في الجزائر التي تركّز فيها اليهود الشريفيون الناطقون بالاسبانية، بالإضافة إلى عدة مدن أخرى في الجزائر وتونس تركّز فيها يهود الآسودن من إيطاليا. وكانت قد سبقتمه إليها عشرات مدارس جمعية ال L’Alliance Israelite Universelle في الفريقتونية المناهج التي تقوم من ضمنها بتعليم اللغات الفرنسية والعبرية إلى جانب اللغة العربية - الأمازيغية.

وبعدًا تكون مدارس الأليانس قد أسهمت



نيويورك (يهاش ايسيلي - ا فبراير)

اضطهاد ملوك الكاثوليك في المناطق الأوروبية المتوسطة، وكانوا قد تكفّوا في معاشهم، خاصة مع القبائل الأمازيغية، وكان هذا قد سبق وتعزّز بعد إخراجهم الشبعة في الأندلس التي انتمى إليها المؤلف شكوركي، تسعينيات القرن الخامس عشر.

وبلغ تكيف اليهود في هذه المجتمعات، ورفض تعدد الزوجات الذي يميزهم في المجتمعات من نهج الطوعية الليبرالية المرخّج في أوساط الفرع الإصلاحي من الديانة اليهودية الذي يرى في القانون اليهودي مجرد مبادى توجيهية عامة وليس مجموعة قيود(12).

وكان شأن التجار اليهود، في المغرب كشأن تجار يهود المشرق والعراق لجهة ترضد الأسواق اليهود لتسويق بضائعها. ولهذا استمرت اشكال الحركات الاندماجية في حارات المدن المغاربية الخاصة بهم التي توزعوا بيئها، ومنها مدينة وهران في الجزائر التي تركّز فيها اليهود الشريفيون الناطقون بالاسبانية، بالإضافة إلى عدة مدن أخرى في الجزائر وتونس تركّز فيها يهود الآسودن من إيطاليا. وكانت قد سبقتمه إليها عشرات مدارس جمعية ال L’Alliance Israelite Universelle في الفريقتونية المناهج التي تقوم من ضمنها بتعليم اللغات الفرنسية والعبرية إلى جانب اللغة العربية - الأمازيغية.

وبعدًا تكون مدارس الأليانس قد أسهمت

في تخريج الكفاءات التجارية للتوسط بين الأسواق العربية والأوروبية، وتمكّن التجار اليهود المغاربيين من التوصل مع المدن الأوروبية المتوسطة المقابلة لمراكز تجارتهم ومناشئهم على الساحل المغربي المقابل على المتوسط. وبرن توسع استقرار اليهود في ظل الاستعمار الفرنسي لبلدان شمال إفريقيا وفي ظل إدارته المحتضة لليهود تخفياً من ذنب تواطؤ الحكام الفرنسيين الذين سبق أن توأطأوا مع حلفائهم النازيين المحتلين لفرنسا ضد اليهود وسهّلوا لحصول مجازر الهولوكوست النازية. لقد تميّز استقرار اليهود المترسخ في المدن المغاربية بعيداً نسبياً عن توترات المواجهات التي استمرت لأكثر من نصف قرن بين الانتخابات القومية العربية وانعكاسات مسألة اغتصاب فلسطين وتهجير شعبها. وتميُز استقرار اليهود المغاربيين في ظل الحضور الفرنسي على اصعدة الأمن والتعليم وتطبيق القانون لإرساء المساواة والأمن في حارات اليهود (الملاح) وإن كان هذا الحضور لم يمنع بعض المسلمين من تجاوز الأخلاق والقانون في التعامل مع أفراد من هذه الحارات.

وقد وفّر الاستعمار الفرنسي في الجزائر أيضاً من التعليم في مدارس فرنسية علمانية حيث راح اليهود المغاربيين فيها، على حد ما يعرضه أندريه شكوركي، أحد رؤساء الأليانس «يتعلمون من آثار جان جاك روسو وفولتير وفينكتور هيفو، وهي آثار ثقافية هبت أرواحهم وعقولهم وأثارت متكاتل بينهم وبين النبيين موسى وعيسى (الملاح) وإن كان هذا الحضور لم يمنع بعض المسلمين من تجاوز الأخلاق والقانون في التعامل مع أفراد من هذه الحارات.

ويذهب أندريه شكوركي في المغالاة في تفسير أي تعدّ مسلّم على الفرد اليهودي بأنه «إذلال زمين»، وبهذا التفسير التعميمي يُكرّم المؤلف شكوركي ما يُشير إليه هو في غير مكان إلى اندماج اليهود وأمنهم في الأسواق ولجوثهم بعيداً عن مطاردة الكاثوليك لهم، ويشير أيضاً إلى تاريخ احتضان المسلمين لليهود الفقراء قبل الأغنياء على امتداد قرون بفعل تكيفهم في ظل التجارو والعيش المشترك، ويذهب إلى وصف هذا التكيف(14) بأنه مجرد «مبالغة في الخضوع»، متناسباً حصول اعتنادات أصعب لمسلمين على مسلمين آخرين فقراء من أقليات مسلمة أو اهلية أو جوية أو عائلية طمعاً في مالهم أو افتنائاً على قوقهم في غياب قانون وإدارة ضاربة و«مدنية» كآدارة الاستعمارية الفرنسية التي انتمى إليها المؤلف شكوركي، ولم يز في استعمارها لبلدان المغرب سوى تسعينيات القرن الخامس عشر.

ويبلغ تكيف اليهود في هذه المجتمعات، ورفض تعدد الزوجات الذي يميزهم في المجتمعات من نهج الطوعية الليبرالية المرخّج في أوساط الفرع الإصلاحي من الديانة اليهودية الذي يرى في القانون اليهودي مجرد مبادى توجيهية عامة وليس مجموعة قيود(12). وكان شأن التجار اليهود، في المغرب كشأن تجار يهود المشرق والعراق لجهة ترضد الأسواق اليهود لتسويق بضائعها. ولهذا استمرت اشكال الحركات الاندماجية في حارات المدن المغاربية الخاصة بهم التي توزعوا بيئها، ومنها مدينة وهران في الجزائر التي تركّز فيها اليهود الشريفيون الناطقون بالاسبانية، بالإضافة إلى عدة مدن أخرى في الجزائر وتونس تركّز فيها يهود الآسودن من إيطاليا. وكانت قد سبقتمه إليها عشرات مدارس جمعية ال L’Alliance Israelite Universelle في الفريقتونية المناهج التي تقوم من ضمنها بتعليم اللغات الفرنسية والعبرية إلى جانب اللغة العربية - الأمازيغية.

وبعدًا تكون مدارس الأليانس قد أسهمت

<sup>[1]</sup> راجع في النسخة الإنكليزية على الموقع \* كاتب لبناني